

الوزير المغربي ومصائر علاقات الثقافة بالسلطة

في القرنين الرابع والخامس للهجرة (*)

مراجعة رضوان السيد

I

يخيّب الوزير المغربي في رسالته في السياسة آمال الدكتور إحسان عباس. فالرجل، الذي يسميه (صانع الملوك والدول) العالم الشاعر الناصر الناصر الذي أكبر أبو العلاء المعري علمه كل الإكبار والذي عمل وزيراً أو سائساً عند ثلاث أو أربع دول خلال عشرين عاماً؛ الرجل الذي هذه صفاته يكتب رسالة في السياسة وآدابها أو في فن (نصائح الملوك) أقل ما يقال فيها أنها مخيبة للآمال^(١). فهي كثيرة الإيجاز بحجة أن الملوك وقتهم ضيق. وهي تبقى في العموميات، وهي تعرض أفكاراً عادية جداً. وهي أخيراً لا تعكس شيئاً كثيراً من تجربة الوزير المغربي الخاصة والغنية. وكان بوسع الدكتور عباس الذهاب إلى أن الوزير كتبها في شبابه أو أنه كتبها بناءً على طلب أحد الأمراء في وقت كان هو ما يزال فيه مهتماً بالوزارة والسيادة بحيث لم ير من مصلحته عرض تجربته أو أفكاره الحقيقية...

(*) إحسان عباس: الدليل المغربي أبو القاسم الحسين بن علي؛ العالم الشاعر الناصر الناصر؛ دراسة في سيرة وأوجه ما تبقى من آثاره - دار الشروق بعمّان ١٩٨٨ - ٢٥٠ ص.

(١) نشرها الدكتور سامي الدهان بدمشق - وأورد منها هنا إحسان عباس نصوصاً مسهبة (الوزير المغربي ص ٢٠٢ - ٢١٤).

بيد أن هذه الاحتمالات - إن صح بعضها - إن كفت لفهم دوافع الوزير للكتابة في السياسة؛ فإنها لا تكفي لتعليل (نقص الإبداع) الظاهر في الرسالة.

والحق أن هذا (النقص في الإبداع) ظاهر في كل أعمال الوزير المغربي العلمية التي أطلعنا الدكتور إحسان عباس على أوجه ما تبقى منها. أما أعماله الشعرية أو أشعاره فقد ذكر المؤلف نفسه أنها كأشعار الكتاب الذين يلتمسون فيها الإطراف والإغراب والنكت البيانية والبديعية. وإما أعماله اللغوية (التي أعجب بها المعري) فليست غير جمع أو اختيار أو اختصار؛ وقد كان الفاطميون بمصر يملكون مكتبة عظيمة وكان والد الوزير المغربي من رجالات دولتهم فليس غريباً أن يستطيع الفتي الحسين بن علي المغربي الوصول إلى ذخائر الكتب والنقل عنها أو الاختيار منها. . وقد بدأ كتابته العلمية باختصار (إصلاح المنطق) لابن السكيت ورسائله في السياسة لا تخرج عن هذه المشكاة فهي - شأنها في ذلك شأن رسالة السياسة المنسوبة لمعاصره ابن سينا^(١) - اختصار للكتاب المسمى (كتاب بروسن في تدبير المنزل)^(٢) والذي عرفه المسلمون بالعربية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري في الغالب. . . والمنزل - كما هو ظاهر - ترجمة سيئة لكلمة الوطن أو الموطن بالمعنى السياسي لذلك عند الإغريق (الوطن = المدينة = الدولة) وقد شجع الكتاب اليونانيين المتأخرين من الأفلاطونيين المحدثين على ذلك قول أرسطو أن من لا يحسن سياسة وطنه الأصغر (= منزله وامراته وولده وعبدته) لا يحسن ممارسة السياسة في وطنه الأكبر (المدينة = الدولة)^(٣). ولم يعرف المسلمون (كتاب بروسن) فقط بل عرفوا (جوامع) لكتاب في (الاقتصاد المنزلي) منسوب إلى أرسطو نفسه يقسم اهتمامات الرجل (= المواطن) إلى الأقسام الثلاثة أو الأربعة المعروفة: إصلاح النفس يؤدي إلى إصلاح المنزل، يؤدي إلى إصلاح المحيط القريب، يؤدي إلى إصلاح الرعية.

(١) نشرها لويس معلوف السوسي بمجلة المشرق ٩٦٧/٩ - ٩٩٢.

(٢) نشر بلسنر Plessner النص العربي للكتاب ودرسه في هايدلبرغ ١٩٢٨. وقارن عنه مقدمتي على تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي (بيروت ١٩٨٧) ص ٦٩ - ٧٣.

(٣) قارن بمقدمتي على نشرة الإشارة إلى أدب الإمارة للمراي (بيروت، ١٩٨١) ص ١٨ - ٢٠.

ولكل من هذه السياسات تفصيلات وتقسيمات طبعاً من مثل تقسيم المغربي الرعية إلى عامة وخاصة وتقسيم العامة والخاصة بدورها إلى أقسام أصغر تتنوع السياسة تجاهها من جانب السلطان أو الإمام. ولأن فن (نصائح الملوك) هذا (= مرايا الأمراء) سرعان ما تحول بعد قليلة ودمنة إلى (نوع ثقافي) قائم على (التعقل الكلاسيكي) للمسألة السياسية وليس على التجربة الواقعية فقد أمكن تحويله أو تحويل الأنواع التي ذكرناها إلى جداول هندسية مثلما هو الأمر عند ابن فريعون من القرن الرابع (ربما كان معاصراً للمغربي) وابن أبي الربيع (من القرن السابع)^(١). إن هذه الإطالة في بيان (عدم أصالة) أو (قلة أصالة) الوزير المغربي ليس هدفه التقليل من شأنه بسبب نقله أو جمعه أو اختصاره. فقد أوضح الدكتور إحسان عباس في كتابه الآخر عن (عبد الحميد الكاتب) أن الأخير أفاد كثيراً من المأثورات الكلاسيكية التي كانت متداولة أيامه دون أن يقلل ذلك من أصالته^(٢). فالوزير المغربي لم يكن موهوباً بل كان ذا حافظة جيدة وهو لم يكن سياسياً ذكياً بل كان سياسياً ماهراً أو مجرباً وفرق بين المهارة والذكاء. وأبو العلاء المعري البعيد كل البعد عن النفاق ما كان شديد الخبرة بالرجال بدليل الخبيات التي لقيها من معارفه وأصدقائه ببغداد وطرابلس وحلب ودمشق في حياته فربما أعجب بنشاطه المعري في بداية شبابه لأنه رأى فيه صورة عن شباب كان يرغب لنفسه فحالت دونه حوائل الطبيعة. ثم إن أبا العلاء كان يعرف تبعية بل اسماعيلية الحسين بن علي المغربي وكان الفاطميون وبدو دويلات الجزيرة والبويهيون ببغداد وشيراز، كل هؤلاء منذ أوائل الثلث الثاني من القرن الرابع وحتى منتصف القرن الخامس يتحكمون بمصائر موطنه ومسقط رأسه المعرة وما حولها فربما كان حرصه على العلاقة بالوزير المغربي جزءاً من

(١) جامع العلوم لابن فريعون. طبع بالتصوير عن مخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٧٦٨ مكتبة طوب قابو سراي في استانبول (منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية / فرانكفورت، ١٩٨٥) ص ٨٦ - ٩٥، وسلوك المالك لابن أبي الربيع تحقيق الدكتور ناجي التكريتي (بيروت/ ١٩٧٨) ص ١٨٣ - ٢١١.

(٢) إحسان عباس: عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء (دار الشروق، بيروت ١٩٨٨) ص ١٣١ - ١٣٣.

حرصه على العلاقات بكل ذوي النفوذ منهم لحماية مدينته وناسه. لكن إن يكن نجاح الوزير المغربي النسبي ليس ناجماً عن عبقرية علمية أو سياسية فكيف يمكن فهمه في إطار تطور علاقات الثقافة بالسلطة في القرن الرابع ومطالع الخامس.

II

قال رجل من حاشية عمرو بن مسعدة كاتب الرشيد والمأمون أن الكتاب على خمسة أصناف: كاتب رسائل.. وكاتب جند.. وكاتب قاضي.. وكاتب شرطة.. وكاتب خراج^(١).

وكل من هؤلاء يحتاج إلى ثقافة فنية (تقنية) تختلف عن ثقافة زميله. لكنها على أي حال ثقافة تقنية وليست ثقافة سياسية فربما كان الأدق تسميتها مهارة أو درية.. وقد كان الوزير المغربي شديد الاعتزاز بمهارته التقنية هذه كما يبدو من رده على بعض من تحداه بالبطيحة في اللغة والكتابة والشعر^(٢). فقد أجاب على التحدي بتحد في حوشي اللغة وغريبها مع أنه قال إن ذلك (لا ينفع في الأديان، ولا فيما يعترض من القرآن)، لكنه دلل به على صلاحيته ليكون كاتب رسائل متميز. ثم انصرف لإثبات معرفته لكتابة الخراج وحساباته ومصطلحاتها.. وغني عن القول أن مناصب كاتب الشرطة والقضاء والجند لم تكن في نظره مما يسعى في طلبه، ولذا لم يفخر بمعرفة في نطاقها. فكاتب الخراج وكاتب الرسائل هما أسمى أنواع الكتاب وهما المدخل للوزارة. لكن أبا نصر نصر الدولة أمير ديار بكر يذكر عنه قصة إبان عمله وزيراً له تشعر بأن علمه بكتابة الخراج والرسائل لم يكن سبب توليته الوزارة عنده على الأقل.. إذ يذكر عنه أنه وضع له قائمة بأسماء وجهاء دولته وبلاطه ممن تمكن مصادرهم ليزداد نصر الدولة ثراء فقال له الأمير إنه جعله وزيراً ليعمر البلاد فإذا عمرت در

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ص ١٥٦ - ١٥٧، وقارن بمصورة جبهة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري، ص ٦٨ - ٧١.

(٢) إحسان عباس: الوزير المغربي، ص ٦١، ١٦٥ - ١٨٢.

دخلها وكفته وكفت أصحابه، ولو أراد الغنى عن طريق المصادرة لما احتاج إليه ولولّي شرطياً أو مولياً له هذه المهمة السهلة^(١). فصحيح أنه منذ الجيل الثالث من أجيال كتاب الديوان، جيل عمرو بن مسعدة وسهل بن هارون والحسن بن سهل انفصلت الكتابة عن السياسة وصار المطلوب من الكاتب العلم بالتفاصيل التقنية فقط. . لكن هذا يفسر وجهاً من وجوه نجاح الوزير المغربي لا أكثر، فقد كان الرجل كاتباً ضليعاً. ولذلك، استخدمته الدول المختلفة رغم الخصومات فيما بينها باعتبار خبرته التقنية وباعتبار أن الكتابة لا شأن لها بالسياسة. أو أن الكاتب لا يتمذهب أو ينحاز لكني يبقى مطلوباً من الجميع ولكي يبقى قادراً على الانتقال من دولة إلى دولة إذا نكب كما كان يحدث أكثر الأحيان. لكن الوزير المغربي لم يكن ذا شخصية مطمئنة. . بحيث تجتمع إلى خبرته المتميزة مسألة الثقة به فتجعل تعيينه ضرورة من الضرورات. فمن الواضح - إذا صدقنا أقوال المصادر عنه أنه كان (من كبار دهاة العالم)، وأنه كان صاحب عقلية تأمرية شبه مرضية فيما يتصل بالعمل السري المؤدي إلى إزعاج هذا الأمير أو ذاك وهذا الوزير أو ذاك، فإنه كان على أمراء تلك الدويلات أن يقنعوا بمن هو أقل منه خبرة إن كان أقل منه شراً. لكن أبا نصر نصر الدولة راوي القصة المشوهة للوزير المغربي عيّنه وزيراً لديه غير مرة رغم معرفته (بسوء أخلاقه)؛ ولا شك أن ذلك لم يكن لخبرته الديوانية العميقة بالدرجة الأولى بل لطبيعة التوازنات السياسية والأصول والمذاهب الثقافية التي كانت سائدة آنذاك. . فما له دلالة أن يكون الوزير المغربي قد عمل دائماً لدى أمراء ودويلات شيعية وليس هو فقط بل أبوه من قبل أيضاً. وقد نكب الحاكم الفاطمي أسرته لكن الوزير المغربي تحرك في الشام ما ينيف على العقد من السنين وهي منطقة نفوذ فاطمية دون أن يحاول الحاكم أن يمسه بسوء رغم استطاعته ذلك، كما ثبت من إفشاله محاولات التآمر عليه بالرملة من جانب آل الجراح وأمير مكة بتحريض من الوزير المغربي (٢٩٩ - ٣٠٢هـ). ومعلوم أن الخليفة القادر اعترض على وجوده في بغداد عندما أتاها عام ٣٠٢ أو ٣٠٣ هـ

(١) الوزير المغربي، ص ٦٤ - ٦٥.

وكان وقتها مشغولاً بإعداد جبهة (أيدولوجية) ضد الفاطميين بعد أن عجز عن مواجهتهم سياسياً وعسكرياً. فقد أصدر عقيدته القادرية عام ٤٠٢ هـ وفيها تهجم على الإسماعيلية والباطنية والمعتزلة (وكل المبتدعة)^(١).

لكن هذا كله لم يمنع الوزير المغربي من العودة إلى بغداد بل وتولي الوزارة لمشرف الدولة البويهى الشيعي رغم اعتراضات الخليفة العاجز في عاصمة خلافته. . وتبدو أفكاره الإسماعيلية واضحة في بعض كلامه وأشعاره التي تتحدى الصحابة وتستخف بهم رغم دفاعه في الرسالة المعروفة عن أصوله (المشرقية) أي السنية. وربما اندرج موقفه من الباقلاني وهو موقف المعارضة الدائمة^(٢) في سياق الصراع الثقافي الخفي بين الجبهتين أو المعسكرين بعد أن بدأ المعسكر السني يتجمع تحت راية الخليفة القادر ثم ابنه القائم ويلعب فيه أناس مثل الباقلاني وابن خفيف وابن فورك أدواراً مهمة. ولأنه شخصية ثقافية كبيرة في المعسكر الآخر فإن الأمراء كانوا يحرصون عليه ويحتملون منه وله مؤامراته الكثيرة وطموحاته غير المحدودة والمزعجة. فعل ذلك قرواش كما فعله أبو نصر نصر الدولة بديار بكر من قبل ومن بعد وكذا الأمير مشرف الدولة البويهى ببغداد. وليس من الضروري المصير إلى صورتنا التاريخية عن الباطنية والحشاشين وما شابه للتوصل إلى أنه كانت هناك (مؤامرة) ضخمة على الإسلام والدولة العباسية. بيد أن شخصيات العصر الكبرى في الفقه والسياسة والثقافة كانت منضوية في أحد المعسكرين - ولم تبدأ معالم المعسكر السني تتوضح إلا بعد منتصف القرن الرابع الهجري. وتدل الدراسات الأخيرة لطبائع أبي العلاء الفكرية على أنه لم يكن في معسكر الوزير المغربي والمؤيد الشيرازي؛ لكنه بخلاف الباقلاني وابن فورك ما كان بوسعه التصريح بميوله الحقيقية بسبب وضع مدينته ومشكلته الشخصية. وربما كان ذلك شأن المتنبي من قبل وإن لأسباب أخرى...

(١) قارن بمقدمتي على قوانين الوزارة والسياسة الملك للمهاوردي، ص ٤٨ - ٥٣. وانظر: الوزير

المغربي، ص ٦٩ - ٧١.

(٢) الوزير المغربي، ص ١٠٢.

III

اعتمد الدكتور إحسان عباس في إعادة تركيب سيرة حياة الوزير المغربي على كل المصادر الممكنة وبخاصة مخطوطة بغية الطلب لابن العديم الذي يترجم له ترجمة مشبعة استناداً إلى جزء مؤلف عنه. فهو الحسين بن علي بن الحسين بن علي المغربي. وهذه النسبة سببها أن جده الأعلى كان مسؤولاً ببغداد عما يعرف بديوان المغرب^(١).

وانتقل جده الأقرب إلى حلب فعمل في ديوان سيف الدولة الحمداني حتى بلغ رتبة الوزارة وخلفه ابنه في العمل عند سيف الدولة لكن الأمير الحمداني لم يلبث أن توفي عام ٣٥٦ هـ فلم يستمر التفاهم طويلاً بين سعد الدولة بن سيف الدولة ووالد الوزير المغربي فمضى علي بن الحسين المغربي إلى مصر موثلاً التشيع الأول بالمشرق آنذاك وقد بلغت الدولة الفاطمية ذروة ازدهارها في عهد العزيز بن المعز. وولد الحسين بن علي المغربي بحلب عام ٣٧٠ هـ وتلقى فيها تعليمه الأول ثم لحق مع إخوته بأبيه بمصر بعد العام ٣٨١ هـ. وفي مصر عمل الوالد بالديوان العزيزي وشارك في بعض الدسائس والمناصب فلما توفي العزيز وخلفه صهره الحاكم قلّت أخبار المصادر عن آل المغربي حتى كانت نكبة الحاكم لهم عام ٣٩٩ هـ بقتل والد الوزير وأخويه وهربه هو إلى الشام. وفي الشام توقف الحسين بن علي بالرملة وحرص بدوها من آل الجراح على الحاكم وأقنع والي مكة العلوي بقبول بيعة آل الجراح له بالخلافة... بيد أن الخطة كلها لم تنجح لنقص عزيمة آل الجراح وفقد الموارد ورشاوى الحاكم. ومضى المغربي من هناك إلى بغداد فاعترض الخليفة القادر على وجوده لاشتباهه بأن له عملاً سرياً في خدمة (مغاربة مصر). وحوالي العام ٤٠٥ هـ نجده وزيراً لأبي نصر نصر الدولة المرواني ثم حوالي العام ٤٠٧ هـ صار وزيراً لقرواش العقيلي بالموصل. ثم غضب عليه قراوش فمضى إلى بغداد وأقام متعطلاً حتى ولاه مشرف الدولة

(١) لماذا نصدق قصته عن أسباب نسبته مع أن ديوان المغرب غير معروف في المصادر. ولا يضطرنا ذلك إلى القول بأن أصله مغربي، بل بأن الأسرة لقيت بذلك لإسماعيليتها فقد كان الإسماعيلية المرتبطون بالفاطميين يسمون المغاربة لبداية دولتهم هناك.

وزارته ببغداد حوالى العام ٤١٥ هـ. وخرج من بغداد هارباً إلى نصر الدولة من جديد عام ٤١٦ هـ فولّاه وزارته مرة ثانية واستمر فيها حتى وفاته عام ٤١٨ هـ.

ترك الوزير المغربي ديوان شعر لكنه ضاع وقد استطاع المؤلف الدكتور إحسان عباس جمع ١١٥ قطعة من شعره من مصادر مخطوطة ومطبوعة .^(١) وحكمه على شعر المغربي أنه حلّو العبارة شديد الاهتمام بتوليد المعاني والمحسنات شأن أشعار الكتاب . . وكان عمله العلمي الأول في شبابه اختصار إصلاح المنطق لابن السكيت وإعادة ترتيبه وقد تحدث الدكتور عباس طويلاً عن مميزات هذا الاختصار^(٢) . ثم هناك كتابه (أدب الخواص) الذي جمع فيه حكايات وأشعاراً ونظرات نقدية^(٣) . لكن اختياراته لا تتسم بالندرة كما سمى كتابه وليست للخواص بالمعنى الذي قصده فربما كانت التسمية ناجمة عن مذهبه الديني الذي لا يقيم قائمة لغير الخاصة الحقيقة باستماع الدعوة وتقبلها، وهو يذكر أن من غرضه في أدب الخواص التدليل على إعجاز القرآن بغير طريق المقارنة مع الشعر الجاهلي^(٤) وأقوال وأشعار البلغاء والخطباء . كأنما يعترض بذلك على منهج الباقلاني في هذا الصدد، لكنه في الواقع لم يقرأ القرآن قراءة أسلوبية كما فعل عبد القاهر من بعد بل قلّد الباقلاني إلى حد كبير وكانت نظراته نظرات طائفة على أي حال لا تشكل نهجاً أو نظرية في البيان أو إعجاز القرآن . ويرى الدكتور عباس تناقضاً في موقفه من الفلسفة وعلم المنطق إذ يقول بتحريمهما على أن الفكر الإسماعيلي كله مزائج من فلسفات مختلفة^(٥) . وهذا صحيح لكنهم ينسبون ذلك كله إلى علم الإمام وإحياءاته الإلهية وليس إلى فيثاغورس وأفلاطون وأفلوطين؛ وهذا معنى (التعليم) عندهم الذي حمل عليه الغزالي (- ٥٠٥ هـ) بعد حملة الباقلاني (- ٤٠٣ هـ) . وقد جاء حديث الوزير

(١) الوزير المغربي، ص ١٠٩ - ١٦٢ .

(٢) الوزير المغربي، ص ٢٤ - ٣٤ .

(٣) ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٤) ص ٢٧ - ٣٣ ، ٢١ - ٢٢٥ . وانظر نصوصاً باقية من كتابه: «المأثور في ملح الخدور» في الوزير المغربي، ص ٢٢٧ - ٢٢٣ .

(٥) الوزير المغربي، ص ٢٨ . ص ١٠٣ - ١٠٤ .

المغربي عن ذلك في مجادلاته مع إيليا مطران نصيبين عام ٤١٧-٤١٨ هـ التي سجلها إيليا بمفرده^(١) والتي تُظهر الوزير المغربي في (موقع ضعيف) أكثر الأحيان. فيما أن يكون المطران قد فعل ذلك لإظهار تفوقه أو أن تكون ثقافة المغربي الدينية والفلسفية سطحية. . ويبدو لي أن المغربي هُيمٌ منذ شبابه للعمل في الديوان أي أنه تسلح بسلاح لغوي وبياني مهم، وربما حفظ القرآن لكنه لم يهتم بما عدا ذلك من فقه وأصول وسنة وفلسفة لأن ذلك كله مما لا يحتاج إليه الكاتب ومما ليس مستحباً عند الإسماعيلية. وهذا رغم إدعاءاته العريضة في الدفاع عن نفسه أمام اعتراضات الخليفة القادر عليه ٤٠٢ - ٤٠٣ هـ باعتباره إسماعيلياً مخرباً. ويبقى كتابه في السياسة الذي تحدثنا عنه من قبل^(٢). وقد جمع الدكتور عباس بالإضافة إلى المقطوعات الشعرية رسائل المغربي الباقية من الذخيرة لابن بسّام (الرسائل ١ - ١٢)^(٣) ورسائل المعري = ١٣ وبغية الطلب = ١٤ وابن الداودي = ١٥.

لقد كان الوزير المغربي شخصية نموذجية بين شخصيات تلك المرحلة المضطربة فكرياً وسياسياً في الدولة الإسلامية (٣٥٠ - ٤٥٠ هـ). وقد استطاع إحسان عباس تصويره بطريقة فذة في صراعاته السياسية والثقافية بحيث بدا الرجل حياً بلحمه ودمه وتناقضات شخصيته وظروف العصر الصعبة. ووقف

(١) نشرها الأب لويس شيخو بمجلة المشرق م ٣٣/٢٠ وما بعدها؛ بعنوان «محال إيليا مطران نصيبين». وقارن عنها: الوزير المغربي، ص ٩٩ - ١٠٤. وله رسالة في تهنة مطران يعقوبي بالاسلام. قارن عنها ص ١٩٢ - ١٩٣، ٢٤٠ - ٢٤٢.

(٢) الوزير المغربي، ص ٢٠٢ - ٢١٤ وفي الفقرة ١٦ من الكتاب ص ٢٠٦ أرى قراءة الفقرة على النحو التالي: والاستخدام بالكفاية لا بالعناية. والفقرة كلها اختصار لعبارة تنسب في المصادر لأنوشروان أو الاسكندر، قارن بالعقد الفريد ٣٢/١ - ٣٣، وسراج الملوك ص ٤٦، وبدائع السلك ٤٨٩/١ وعيون الأخبار ١٠/١، ومروج الذهب ٢٩٠/١، وتذكرة ابن حمدون ٤٠٠/١، وتسهيل النظر ص ٢٩٢.

(٣) في الرسالة رقم ٥ ص ١٨٥ صحة البيت: ويُظلموا فترى الألوان مسفرة النخ. . والبيت من أبيات منسوبة لإبراهيم بن العباس الصولي في محاضرات الأدباء ٢/١، ومجهره الأمثال ص ٣٤٦، والعقد الفريد ٢/٢٧٩، وغرر الخصاص ص ٣٦٨، وأدب الدنيا والدين ص ٢٤٥.

من وراء الأحداث أبو العلاء المعري يرقب ويراقب ويعتذر وربما كان أبو العلاء أو موقعه في قصة الوزير المغربي كلها هو الموقع الذي تصوره إحسان عباس لنفسه كواضع للسيرة المغربية. لكنني ما أزال أرى أن إسماعيلية الوزير تفسر أكثر انتصاراته ونكساته كما تفسر التناقضات الواقعة في سيرته أو أكثرها. أما طبائعه الثقافية فتفسرها ثقافة الكتاب التي سلّحه والده بها وهي ثقافة لها إيجابياتها الدعائية في سياق وظائف العصر لكنها لا تقارن بأي حال بثقافة أبي العلاء أو الباقلائي، كما أنها لا تقارن بثقافة رجل معاصر كبير هو أبو حيان التوحيدي. وأحسب أن مقارنة سريعة بين ظروف حياة ومصائر كل منهما كافية لبيان علل جانب مهمّ من جوانب نجاح الوزير المغربي وفشل الوحيد التوحيدي.